الفصل الثالث

الرسول و اليهود

اليهود والتبشير بنبوة محمد:

كان اليهود و النصارى قبل ظهور الإسلام يتنازعون النفوذ الأدبي في الجزيرة العربية، ويتنافسون في كسب احترام العرب، واعتز كل فريق بدينه وكان اليهود يستنصرون على المشركين في الجاهلية ويقولون: اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان، ولما سألهم العرب عنه قالوا: أن نبيا قد قرب زمانه سيكون لمن اتبعه العز والنصر إلى يوم القيامة ويتوعدون العرب بإتباعه والاستنصار به عليهم[٤٠]

وكان اليهود ــ وبخاصة أحبارهم ــ يعلمون من كتابهم أن نبيًّا سيبعث في آخر الزمان تكون الجزيرة العربية داره وقراره ويحدثنا التاريخ عن (أسعد بن كرب) ملك اليمن الذي قدم إلى يثرب (المدينة المنورة بعد هجرة الرسول) ينتقم من أهلها لأنهم قتلوا ابنه غيلة. وبينما ابن كرب ماض في القتال والانتقام إذ جاءه حبران من أحبار اليهود – من بني قريظة ــ عالمان راسخان في العلم، فقالا له : أيها الملك لا تفعل فإنك إن أبيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها ولم نأمن عليك عاجل العقوبة ودهش الملك وسأل الحبرين: ولم ذلك ؟! فقالا: أن المدينة – أيها الملك – ستكون مقر هجرة نبي يخرج من الحرم من قريش في آخر الزمان تكون داره وقراره. وتأثر الملك بعبارات الحبرين فانصرف عن المدينة وتذكر الروايات العربية أن

---

[٤٠] انظر كتاب (عبد المطلب جد الرسول) ص١١٧ .

عبد المطلب، جد الرسول رحل إلى اليمن، وهناك رآه أحد أحبار اليهـود، وفحص هذا منخريه، ثم قال: أنا أشهد أن في إحدى يديك ملكا وفي الأخرى نبوة، وإنما نجد كلا من الملك و النبوة في بني زهرة فكيف ذاك؟وأشار هذا اليهودي على عبد المطلب بأزواج من بني زهرة ،ولذا تزوج عبد المطلـب من هالة،وزوج ابنه عبد الله من آمنه ،وكان زواج الأب والابن في مجلـس واحد والعروسان من بني زهرة[٤١]

كما تذكر هذه الروايات أيضا أنه عند مولد محمد ﷺ، كان في مكـة يهودي يدعى (يوسف)،فقال لبعض وجوه قريش هل ولد فيكم الليلة مولـود؟ فقال القوم:والله ما نعلم .قال : احفظوا ما أقول لكم ،ولد هذه الليلة نبي الأمة الأخيرة ،وهو منكم على كتفه شامة فيها شعيراتان متواترات كأنهن عـرف فرس، وتلك هي خاتم النبوة وتوجه الجميع إلى بيت آمنة وقالوا اها:أخـرج إلينا ،فأخرجته،وكشفوا عن ظهره ،فرأي تلك الشامة،فخر مغشيًا عليه فلمـا أفاق قالوا :ويلك مالك؟!قال:ذهبت النبوة من بني إسرائيل

وتروى الروايات أن عبد المطلب كان قد توجه إلى اليمن على رأس وفد لتهنئة سيف لعبد المطلب :ولد ولد اسمه محمد، يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه ،يخمدان النيران(أي نيران المجوس)،ويكـسر الأوثان،فـاحتفظ بابنك ،واحذر عليه من اليهود فإنهم أعداؤه، واطو ما ذكرته لك عن قـريش لئلا تدخلهم النفاسة فينصبون له الحبائل وهم فاعلون ذلك وأبناؤهم، ويثرب دار ملكه ،واستحكام أمره ،موضع قبره .

---

[٤١] سيرة ابن هشام حـ٢ص٤٢٦، المقريزي: إمتاع الأسماع حـ١ص١٠٤.

كان اليهود العرب يتوقعون ظهور نبي،وكانوا يتوعدون به الوثنيين ولكنهم كانوا يظنون أن النبي يظهر من بني إسرائيل وحينما هاجر الرسول ﷺ من مكة إلى يثرب قال ليهود بني قينقاع "يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يوقع الله بكم مثل وقعة قريش ، فو الله إنكم أتعلمون أنى رسول الله ،وتجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم". ونحن نجد في القرآن الكريم آيات مباركة تؤيد فكرة التبشير بنبي جديد ومن هذه الآيات الكريمة: (ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾).

عداء اليهود للرسول والإسلام:

كان اليهود مؤمنين بصدق رسالة محمد، فقد كانوا دائما يتنبأون بنبي جديد ودين جديد . بل كانت نبوءاتهم هذه عاملا ساعد على انتشار الإسلام، فقال عاصم بن عمر بن نقادة: (إن مما دعانا إلى الإسلام، مع رحمة الله تعالى وهداه لنا، أنا كنا نسمع من رجال يهود، وكنا أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: إنه تقارب الزمان بنبي يبعث الآن نقتلكم معه وارم، فكنا كثيرا ما نسمع منهم ذلك ، فلما بعث الله رسوله ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله تعالى وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم إليه فآمنا به وكفروا).

سور القرآن الكريم تنبئ اليهود بالرسول ثم تكذيبهم لـــه فـــي هـــذه الايات المباركـــة:(وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ) [٤٢]

عارض اليهود الإسلام ومحمدًا منذ اللحظة الأولى، فقد رأوا في محمد ودينه منافسًا جديدًا يوشك أن يقضي على نفوذهم وعلى نفـــوذ النـــصارى جميعًا، وأن ينزع من الفريقين لواء الزعامة الدينية الذي يتجاذبونه، فقد كان من صميم العرب ومن أكرم بيوتات قريش، فهو لذلك أقرب إلـــى نفـــوس العرب الذين يبغضون اليهود ويضيقون ذرعًا بافتخـــارهم علـــيهم بـــالعلم وبالتوراة.وكتب بني إسرائيل، لذلك كان أهل المدينـــة أســـرع إلـــى قبـــول الإسلام.

صار اليهود في عداوة مع الرسول على غيـــر هـــدى، وأخـــذوا يصرحون بالشك في رسالته لا لشيء سوى أنه عربي، والنبوة في نظـــرهم مقصورة عليهم، ولأنه أيضًا بعث في الحجاز، والنبوة في رأيهم إنما تكـــون في الشام موطن الأنبياء[٤٣]لما رأى اليهود ازدياد عدد المـــسلمين وانتـــشار الإسلام يوما بعد يوم وأن العرب يقبلون على محمد والإسلام، وأن جميـــع مصالح اليهود القائمة على أرستقراطية دينية فرصوها على العرب بقـــولهم أنهم شعب الله المختار وأبناء الله وأحباؤه، أصبحت مهددة باستقرار الأمـــر لهؤلاء العرب الأميين، ولما رأوا ذلك أيقنوا أن لا سبيل للمحافظة على هذه

---

[٤٢] سورة البقرة ايه ٨٩ .

[٤٣] جمال سرور: قيام الدولة العربية ص١١٤ .

المصالح وضمان اطمئنانهم في الجزيرة العربية إلا بالقضاء علـى محمـد وأتباعه.

وهكذا كان اليهود ينظرون إلى الرسول وإلى الإسلام بعين الخوف منذ اللحظة الأولى من هجرته من مكة إلى يثرب (المدينة) ثم ازداد خوفهم منه وظهر حسدهم له عندما رأوا الناس يدخلون في دين الله أفواجا ، فأخذوا يكيدون للإسلام والمسلمين بالدس والأرجاف ، ثم بـالمراء والجـدل فيمـا يعلمون و ما لا يعلمون وإذا سئلوا عن شيء مما في كتبهم حرفوا الكلم عن مواضعه وألبسوا الحق بالباطل لكسبوا ولاء المشركين بالحض مـن شـأن الإسلام، لا لسبب سوى كراهيتهم للرسول لما اختصه الله به مـن الرسـالة [٤٤].

صور الله سبحانه وتعالى موقف اليهود فى آياته الكريمة، فمنها: (بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ) [٤٥].ومن هذه الآيات المباركة أيضًا: (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾) [٤٦]

---

[٤٤] حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام حـ١ص ١٣٢ .

[٤٥] سورة البقرة ٩٠ .

[٤٦] انظر كتاب (عبد المطلب جد الرسول) ص١١٧ .

موقف الرسول من اليهود:

لما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة حرص على تحقيق أحد أمرين: إمـا أن يجتذب اليهود المقيمين بها إلـى الإسـلام، أو أن يكتـسب صـداقتهم وإخلاصهم مع بقائهم على دينهم، وتحقيقا لهذه الغاية، كتب كتابًا بيَّن فيه ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات.

وهذا الكتاب أبطل ما كان بين أهل المدينة قبل الإسلام من المعاهـدات الظالمة التي تبث روح الفرقة بين أهلها.فقد أراد الرسـول أن يجعـل مـن المدينة (يثرب) وطنا واحدًا للعرب واليهود، وأن يجعل من الفـريقين أمـة واحدة تجمعها جامعة الوطن و لا يفرق بينها اختلاف في الدين فيزول مـا كان بينهم من شرور وآثام وتبطل حروبهم ومنازعاتهم ويرفرف علم الإخاء بينهم جميعًا، فلا ينظر العرب إلا إلى هذا الوطن، وينسون فيه أنهم عـرب، ولا ينظر اليهود إلى هذا الوطن، وينسون أنهم فيه يهود[٤٧].

فتحت هذه المعاهدة فتحًا جديدًا في السياسة الدينية، فأقرت حرية العقيدة وحرية الرأي، وحرمة الحياة، وحرمة النفس، وحرمة المـال، ولـم يحدث كل هذا قبلها فيما بين أهل الأديان، بل كان هناك الاضطهاد والظلـم والتفرقة في الحقوق، والتفاوت بين الأفراد والطبقات.

حاول الرسول أن يجذب اليهود إلـى الإسـلام، فـدأب علـى الاستشهاد بكتبهم المقدسة ومنحهم الحرية التامة في إقامة شعائرهم الدينيـة وساوى بينهم وبين المسلمين في الحقوق السياسية، ولكنهم قـابلوا صـنيعه

---

[٤٧] الصعيدى : السياسة الإسلامية ص٥٦ .

وكرمه بالجحود والغدر، وشعر الرسول بأنه لا جدوى من جذب اليهود إلى الإسلام.

لم يخلص اليهود قط للمعاهدة التي وقعوها مع الرسول، ولم يفوا بوعودهم مطلقًا، فما أبرموا هذه المعاهدة إلا ليخدعوا المسلمين ويدبروا في السر ما يفسدون به أمرهم، وقد عاشوا بين العرب في الجاهلية ما عاشـوا بينهم ولقوا من حسن جوارهم ما لم يلقوه من غيـرهم فلـم ينـسهم هـذا بغضاءهم فكيف يخلصون لهم ، وقد صاروا إلى دين جديد يـنهض بهـم ، وكيف يرتفعون إلى هذه السياسة التي تسمو على الفوارق الكنيسية، وهم لا يعرفون إلا جنسهم ودينهم، وجبلوا على الجشع والطمع، فلا يهمهم إلا أمـر المادة، و لا يهمهم أمر الروح وفضائلها.

وكان رسول الله ﷺ كريمًا في معاملة اليهود، إلى أبعـد حـدود الكرم، فكان يصابرهم ويصبر عليهم، ويغض الطرف عن كيدهم ويحتـرم دينهم، ويساوى بينهم وبين المسلمين في الحقوق والواجبات، وكان لا يعاتبهم إلا بمقدار ما يكف أيديهم عنه، وكان يحكم فيهم مـن يختارونـه بأنفسهم وصفوة القول أن معاملة الرسول إياهم كانت أيسر وأخـف مـن معاملتـه لقريش وغيرها

الصراع السلبي بين المسلمين واليهود :

بدأ يهود المدينة ببث بذور العداء و الخصام بـين المـسلمين فـي المدينة ،فكانوا يثيرون البغضاء والأحقاد بـين المهـاجرين والأنـصار ، ويوقعون بين فريقي الأنصار والأوس والخزرج فيذكرونهم بما كـان بـين القبيلتين من معارك وخاصة يوم بعاث الذي انتـصرت فيـه الأوس علـى

الخزرج .كما أعلن اليهود تأيدهم لقريش وحرضوهم على قتال الرسول،وقام شعراء اليهود يرثون قتلى قريش في غزوة بدر،وكان اليهود إذا سئلوا عـن شيء مما في كتبهم حرفوا الكلم عن مواضعه وألبسوا الحق بالباطل لينـالوا رضا المشركين بالكيد للإسلام ،لا لسبب سوى كراهيتهم للرسول لما اختصه الله به من الرسالة ، وأنزل الله عز و جل في الآية الكريمة: (بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ) [٤٨].

استمر اليهود في حربهم السافرة حينا والخفية أحياناً،ضـد محمـد والمسلمين . وانضم إليهم رجال من الأوس و الخزرج ممـن بقـوا علـى جاهليتهم وكانوا أهل نفاق علـى ديـن آبـائهم مـن الـشرك و التكـذيب بالبعث،رجال امتلأت نفوسهم حقدًا على محمد، فتظاهروا بالإسلام وقلـوبهم مليئة بالكفر والنفاق، وكان هواهم مع اليهود، لأن اليهود يكـذبون محمـدًا وينكرون رسالته، إذن فان الفرصة سوانية لليهود أن يجـدوا فـي هـؤلاء المنافقين المطايا التي يصلون بها إلى أغراضهم ويعكرون الجو على محمد والمسلمين[٤٩].

على أن كيد اليهود لمحمد والمسلمين لم يقتـصر علـى تحـريض أحبارهم المنافقين، وبث روح لكراهية في المدينة ضـد الرسـول ودينـه ورسالته بل لقد سلكوا طرقًا أخرى خبيثة ملتوية. فرأينا بعـض أحبـارهم يتظاهرون بالإسلام نفاقًا ورياءً. وصور الله عز وجل موقفهم فـي آيـات

---

[٤٨] - سورة البقرة آيه ٩٠.

[٤٩] برانق والمحجوب: محمد واليهود ص٣٩.

كريمة :(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ۝١٠) [٥٠]..

حذر الله سبحانه وتعالى اليهود أن ينقضوا المعاهدة التي عقدوها مع الرسول فقال عز وجل :(يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ۝٤٠ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ۝٤١ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤٢ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٤٤) [٥١]..

لكتفى الرسول ﷺ في هذه الفترة من الصراع السلبي برد كيد أولئك اليهود وإفساد محاولاتهم التفريق بين المسلمين، وتشكيكهم في دين الإسلام، وقد جرى في هذا على السياسة التي استنها في مطاولة أعدائه إلى أن ينقطع عذرهم ولا يكون هناك شيء في أخذهم بالحزم والشدة، ويكونوا هم الـذين جنوا على أنفسهم ، ولاشك أن هؤلاء اليهود كانوا خطرًا عظيمًا على الدعوة

---

[٥٠] سورة البقرة آية ٨ وما بعدها .

[٥١] سورة البقرة آيات ٤٠_٤٤.

عز وجل الآيـــة الكريمـــة: (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ)، فهم إن أخفقوا في شق عصا الطاعة على الرسول فـــإن تخطئهم الوسيلة إلى زعزعة العقيدة في قلوب المؤمنين بتحينهم الفرصـــة، فإن لم تحن اختلقوها، كما صنعوا عند تحويل قبلة المسلمين مـــن المـــسجد الحرام إلى المسجد الأقصى،ثم إلى مقام إبراهيم مرة أخـــرى، فقـــد زعـــم اليهود أن عقيدة المسلمين غير ثابتة[٥٢]. ، وعبر القرآن الكريم عـــن هـــذا الأمر فقـــال : (* سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾).

شن اليهود حربًا عنيفة على المسلمين،فقد حـــاولوا قتـــل الرســـول وحرضوا الكفار على قتال المسلمين وحزبوا الأحزاب عليهم،ونقضوا عهود المسلمين، فرأى محمد والمسلمون أن يدفعوا عـــن أنفـــسهم كيـــد اليهـــود، واضطروا إلى مقاومتهم ومحاربتهم،لأن فرديتهم العدوانية كانت تعـــارض إنسانيته،كما كانت هذه الفردية تقف حائلاً أمام الوحدة الإسلامية والعربية.

الصراع الإيجابي بين اليهود والمسلمين:

لم يكن اليهود في الحجاز متحدين، ولم تكن بيـــنهم رابطـــة سياســـية تجمعهم،بل كانوا قبائل متفرقة، فلما أظهروا عداءهم للمـــسلمين حاصـــرهم الرسول قبيلة بعد قبيلة وأجلاهم عن المدينة، ثم أخذ يتتبع حركاتهم بعـــد أن اجتمع شملهم في خيبر،فسار إليهم وأضعف من شوكتهم [٥٣].

---

[٥٢] محمد عطا:الدعوة التحريرية الكبرى ص١١٩

[٥٣] جمال سرور: قيام الدولة العربية ص١١٥ .

غيرت موقعة بدر وضع محمد تمامًا، فقد أصـبح القائـد المظفـر لجماعة تزداد يومًا بعد يوم .وسرعان ما تحولت كثير من القبائل العربيـة الوثنية إلى الإسلام، وأصبح محمد الآن حاكمًا للمدينة، كما أصبح مُـشَرعًا للقوانين، وكان من أهم المشكلات التي واجهها الرسول تحديد موقفـه مـن اليهود وكانوا يؤلفون ثلاث قبائل قوية. لم تثمر معاملة محمد الطيبة لليهود، فقد ظلوا غير مؤمنين بالإسلام كما عاملوا الرسول والمسلمين بقسوة وجفاء. ونظمت أسماء بنت مروان، الشاعرة اليهودية،كثيرا من القصائد في هجـاء الرسول،كما انشد الشاعر اليهودي كعب بن الأشرف عدة قصائد في مكة بعد موقعة بدر يحث فيها القرشيين على الأخذ بثأر قتلاهم في تلك المعركة.بـل بلغ من وقاحته أن أنشد هذه القصائد عند عودته إلى المدينة وفي حـضور بعض المسلمين، مما أثار غضب الرسول، فقال يومًا، من لـي مـن ابـن الأشرف ؟ وبعد عدة أيام دفع كعب حياته ثمنًا لقصائده فقـد قتلـه بعـض الأنصار من قبيلة الأوس.

أولاً: بنو قينقاع:

كانت قبيلة بنو قينقاع أول قبيلة يهودية تبدأ الصراع الإيجـابى. وكانت هذه القبيلة تسيطر على شمال الحجاز، وكان الرسول ﷺ قد جعل بينه وبينهم أمانًا، وشرط عليهم شروطًا منها ألا يظاهروا عليه عدوا. فلما قـدم الرسول من بدر، أظهر بنو قينقاع البغي والحسد ونقضوا العهد الذي عقـده معهم [٥٤]. فنزلت الآيات الكريمة تخاطـب الرسـول(وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾)، فجمعهم الرسول

[٥٤] ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير حـ ٣ ص٦٨ .

بسوق بني قينقاع وقال:" يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يوقع الله بكم مثـــل موقعة قريش فوالله إنكم لتعلمون أني رسول الله، تجدون ذلك فـــي كتـــابكم وعهد الله إليكم" ، فقالوا " يا محمد، لا يغرنك من لقيت، إنك قهـــرت قومًـــا أغمارًا وإنا والله أصحاب الحرب ولئن قاتلتنا لتعلمن أنك لم تقاتل مثلنا"[٥٥]

وهكذا أبدى بنو قينقاع عداءهم، واستعدادهم للقتال، ثم حدث مـــا أصار غضب الرسول على بنو قينقاع، فكان هذا الحدث شرارة الحرب فقد حدث أن فتاة عربية من قبيلة عربية تجاوز المدينة كانت قـــد اعتـــادت أن تجلب اللبن إلى المدينة، وكانت يومًا في الحي الذي يملكه بنو قينقـــاع وقـــد ضربت خمارها فوق وجهها كما أمرتها تعاليم الإســـلام، وباعـــت الفتـــاة بضاعتها، ثم اتجهت إلى أحد الصاغة اليهود تشترى حلية، فتعـــرض لهـــا بعض فتيان اليهود، فمضوا يتغامزون عليها ويسخرون بخمارها ويهـــزءون من الإسلام وتعاليمه. وحاول بعض شباب المسلمين في الـــسوق أن يكفـــوا شباب اليهود عن الفتاة وعن الهزء بالإسلام، ولكنهم لم يكفوا. وفـــي هـــذه الأثناء كان الصائغ اليهودي قد أثبت طرف الثوب إلى مقعده بمسمار صغير، وعندما حاولت الفتاة أن تنصرف تعرى ظهرها ثم تعثرت ووقعـــت علـــى الأرض وقد انحسر ثوبها عن وجهها وتعرت. وتعالت ضـــحكات الـــشباب اليهود.ووقفت الفتاة وسطهم حائرة مضطربة. وشاهد أحد المسلمين موقـــف الفتاة الحرج، فتقدم شاهرًا سيفه وأغمده في صدر الصائغ اليهودي، فهجـــم الشباب اليهودي على المسلم وقتلوه، واندفع المسلمون بأسلحتهم كما تـــزود بنو قينقاع بسلاحهم، ورأى الرسول أن يقاتل هؤلاء اليهود، فقد نقضوا العهد الذي عقد معهم [٥٦].

---

[٥٥] ابن هشام حـــ ٢ ص٤٢٦.

[٥٦] ابن هشام حـــ ٢ ص ٤٢٧.

لم يكن لبني قينقاع حصون ولا معاقل، وإنما كانوا تجارًا وصاغة وهم حلفاء لعبد الله بن أبي بن سلول، زعيم المنافقين، فسار إليهم الرسـول وحاصرهم خمس عشرة ليلة حتى اضطروا إلى النزول على حكمـه الـذي تضمن أن تكون أموالهم غنيمة له، وتكون النساء والذرية لهـم ثـم أخلـى سبيلهم بعد أن شفع فيهم عبد الله بن أبي سلول ، وأمرهم بالجلاء عن المدينة فساروا صوب شمال الحجاز حتى نزلوا بأذرعات[٥٧].

ثانيا: بنو النضير

ثم جاء دور قبيلة بني النضير، فقد فرحت القبائل اليهودية لما نـال المسلمين في موقعة أحد من قريش مما شجعهم على الغدر بالمسلمين. قـدم على الرسول وفد من مدينتى (عضل) و (القارة) يعلنون إسلامهم ويطلبون من الرسول أن يبعث معهم نفرًا من الصحابة يفقهونهم في الدين ويعلمونهم شرائع الإسلام.فبعث الرسول معهم ستة من المسلمين، ولكن خلال الرحلة، عند مرورهم بمنطقة الرجيع[٥٨] غدروا بالمسلمين وقتلـوا أربعـة مـنهم، وأسروا اثنين وحملوهما إلى مكة حيث سلموهما إلى القرشيين فقتلوهما.

وتكررت هذه الخيانة، فقد قدم بعض أهالي نجد علـى الرسـول وتظاهروا برغبتهم في الإسلام، وطلبوا من الرسـول أن يمـدهم بـبعض المسلمين ليحموهم من أعدائهم فبعث الرسول بجماعة من المـسلمين يبلـغ عددهم أربعين مسلمًا من الأنصار وكانوا يعرفون بالقراء لحفظهم القـرآن الكريم .

---

[٥٧] أذرعات : مدينة بأطراف الشام قبل الحجاز .

[٥٨] المقريزى : إمتاع الأسماع حـ ١ ص ١٠٥.

وعند بئر مؤته، على مسيرة أربعة أيام من المدينة، هاجم بنـــو سليم المسلمين وقتلوهم عن آخرهم سوى رجل واحد وهو عمرو بن أميـــة الذي استطاع الفرار وهرع إلى المدينة وفي طريقه إليهـــا التقـــى بـــرجلين يهودين من بني عامر، غير مسلحين فظن أنهما ينتميان إلى أعدائه وأراد أن يأخذ بثأر إخوانه المسلمين القتلى، فقتل هذين اليهودين وطالب بنـــو عـــامر بالدية.ورأى الرسول أن يقوم بنو النضير، وهم يهود أيضًا.بدفع الدية لبنـــي عامر، فقد كانوا على جانب كبير من الثراء، ويمتلكون حصنًا يسمى (زهرة) على بعد ثلاثة أميال من المدينة. وكان بنو النضير قد عقدوا مـــع الرســـول حلفا عند قدومه إلى المدينة . يقضي بالتعاون على أداء الدية، ودعا الرسول إلى عقد اجتماع للتباحث في هذا الأمر، وتوجه الرسول إلى هذا الاجتمـــاع بصحبة أبو بكر، وعمر، وعلى، وبعض المسلمين الآخرين، وجلس الرسول إلى جنب جدار من بيوت النضير كانوا قد تأمروا على الرسول واتفقوا على أن يقوم أحدهم بإلقاء حجر من سطح هذا البيت على الرسول فيقتله ولكن الله سبحانه وتعالى أعلم رسول الله بالمؤامرة فعاد إلى المدينة دون أن يعلم أحد بذلك، ثم لحق به أصحابه [٥٩].

أثارت هذه المؤامرة غضب الرسول وسخط المسلمين، فطلـــب الرسول من بني النضير الجلاء عن المدينة وأمهلهم عشرة أيـــام يحـــاربهم بعدها إذا لم يخرجوا، ولكن عبد الله بن أبى سلول الخزرجي أرســـل إلـــيهم سرًا يعدهم بمساعدته لهم. ولكنه لم يستطع أن يبر بوعـــده، كمـــا أن بنـــي قريظة لم تساعدهم. وحاصر الرسول بني النضير، وألقى الله الرعـــب فـــي قلوبهم، ورأى بنو النضير عجزهم عن الصمود في قتال المسلمين، فطلبـــوا الصلح بعد حصار دام خمسة عشر يومًا.

---

[٥٩] سيرة ابن هشام حـــ ٣ ص ١٩١.

وصالحهم الرسول على ألا يتعرض لأحد منهم بسوء، وأن يجلوا عن المدينة، ولهم ما حملت الإبل من أموالهم ومتاعهم، ولرسول الله أرضهم ونخلهم وأسلحتهم[٦٠]

وغادر بنو النضير المدينة بستمائة بعير نقلوا عليها أحسن ما في بيوتهم ثم خربوا ديارهم بأيديهم، ورحل بعضهم إلى الشام، ونزل معظمهم بمدينة خيبر وهى مدينة يهودية حصينة على مسيرة أيام قليلة من المدينة [٦١]

صور الله سبحانه وتعالى خروج بني النضير من المدينة وتخريبهم لبيوتهم في هذه الآيات الكريمة:(سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾). (الحشر)

---

[٦٠] البلاذرى: فتوح البلدان ص ٣٠-٣١ .

[٦١] اليعقوبى حـ ٢ ص ٣٨ .

كان بنو النضير على جانب كبير من الثراء، فقد غنم المسلمون كثيرًا من الغنائم وكانت هذه الغنائم مما أفاء الله على رسوله أي أنها خالصة له يضعها حيث يشاء[٦٢]كما جاء في القرآن الكريم: (مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾) [٦٣]. فدعا الرسول الأنصار وذكرهم بما صنعوا للمهاجرين وإنزالهم إياهم في منازلهم، ثم قال لهم : " ليس لاخوانكم من المهاجرين أموال، فان شئتم قسمت هذه وأموالكم بينكم وبينهم جميعا، وإن شئتم أمسكتم أموالكم وقسمت هذه فيهم خاصة "

فقالوا : بل قسم هذه فيهم وأقسموا هذه فيهم وأقسم لهم من أموالنا ما شئت .فقسم الرسول ما أفاء الله عليه من أموال بني النضير على المهاجرين دون الأنصار[٦٤]

ثالثا : بنو قريظة :

بعد إجلاء بني النضير، لم يبق في المدينة من القبائل اليهودية سوى بني قريظة وكانوا يملكون حصنًا منيعًا قرب المدينة. وقد نقضوا عهدهم للرسول، اذ تحالفوا مع أعدائه من المشركين الذين قدموا لغزو

---

[٦٢] سيرة ابن هشام حـ ٣ ص ١٩٤.

[٦٣] سورة الحشر آية ٧ .

[٦٤] البلاذرى: فتوح البلدان ص ٣٤ .

المدينة في غزوة الأحزاب (أو الخندق) [٦٥] وأدرك الرسول حرج الموقف، فكان عليه أن يصد القرشيين وحلفاءهم عن عبور الخندق، وكان عليه في الوقت نفسه أن يعمل على تجنب هجوم بني قريظة وعلى حفظ الأمن داخل المدينة.

وفي ذلك الحين، جاء إلى الرسول نعيم بن مسعود مسلمًا، وعرض عليه أن يكلفه بأي عمل يقوم به في جهاد المشركين وصرفهم عن المدينة. فقال الرسول له خذل عنا فإن الحرب خدعة. فذهب نعيم إلى بني قريظة وحذرهم إن هزمت قريش نجت بنفسها وتركتم تحت رحمة محمد، ثم نصحهم بألا يطمئنوا إلا إذا أعطوهم رهائن من ساداتهم وأشرافهم. ثم ذهب نعيم إلى كل قريش وغطفان وأوهمهم أن بني قريظة قد ندموا على نقضهم عهد محمد، واتفقوا معه على أن يخدعوا له قريشا وغطفان فيأخذون بعض أبناء القبيلتين كرهائن ثم يقدمونهم إلى محمد ليضرب أعناقهم. واستعجلت قريش وعد قريظة لها، فكان جوابهم ما يؤكد عزم بني قريظة على الغدر بهم .

وقد فعلت هذه الوقيعة فعلها في الأحزاب، وتأكدت قريش وغطفان من غدر بني قريظة بهم، فعزموا على الرحيل. وبعد جلاء المشركين، تفرغ الرسول لعقاب بني قريظة الذين نقضوا عهدهم ، وحاصرهم الرسول خمسة وعشرون يومًا، حتى نزلوا على حكمه.

وتم للرسول بالقضاء على بني قريظة السيطرة على المدينة، وأصبح يأمن فيها على نفسه بعد أن تخلص من العناصر المناوئة، كما انتفع فقراء

---

[٦٥] اليعقوبى حـ ٢ ص ٣٩ .

المسلمين بصفة خاصة من أنصار ومهاجرين بتلك الأراضي والمنقـولات التي كان يمتلكها اليهود.

رابعا: يهود خيبر:

على مسيرة خمسة أيام من المدينة تقع مدينة خيبر، حيث يسكن اليهود الذين تميزوا بالثراء نتيجة اشتغالهم بالتجارة والزراعة. فقد كانوا يزرعون أرضهم بالحبوب وأشجار النخيل ويمتلكون كثيرًا من قطعان الأغنام وعددا من الحصون، وبلغ تاريخ تلك المدينة من القدم بحيث أكد أبو الفدا ، المؤرخ العربي، أن موسى بعد عبوره للبحر الأحمر أرسل جيشًا لقتال العمالقة فـي يثرب وخيبر.

أصبحت خيبر ملجأ لليهود بعد أن أجلاهـم الرسـول عـن المدينـة، واستقروا هناك يتطلعون إلى الانتقام، وأدرك الرسـول أهـدافهم . وكـان الرسول قد بدأ يقاتل أعداء الإسلام فرأى أن يهاجم مدينة خيبر.

وفي مطلع السنة السابعة من الهجرة، خرج الرسول إلى المدينة علـى رأس جيش من المسلمين بلغ ألفا ومائتين من الرجال ومائتين من الخيالـة. وصحبه أبو بكر وعلى بن أبى طالب وعمر بن الخطاب، وغيرهم من كبار الصحابة[٦٦]

كان يهود خيبر إذ ذاك يقيمون في حصون على نحو ما كان يفعل بنـو جلدتهم بيثرب، ولو يدر بخاطرهم أن الرسول سيغزوهم لمنعـتهم ووفـرة

---

[٦٦] ابن سعد : الطبقات الكبرى حـ ٣ ص ١٥٢ ـ .

سلاحهم وكثرة عددهم.لكن الرسول ما لبث أن نزل بساحتهم ليلاً على حين غفلة منهم، بحيث لم يستطيعوا أن يضموا إليهم حلفاءهم .فلما أصبح الصباح وشرعوا يتأهبون لآداء أعمالهم فوجئوا بمشاهدة المسلمين أمامهم فـذعروا وولوا هاربين إلى حصونهم . ثم دار القتال بين الفريقين وهاجم المـسلمون حصون اليهود حصناً بعد حصن، وتمكنوا من فتح بعضها عنوة، كما اخذوا البعض الأخر صُلحًا.أصبحت الحصون التي فتحت عنوة ملكا للمسلمين. أما ما أخذت صلحا فقد اتفق الرسول مع أصحابها علـى أن يبقـوا بـالأرض يزرعونها مناصفة ، النصف للمسلمين والنصف الأخر لليهود[٦٧]

لما سمع أهل فدك، وهى مدينة قرب المدينة بتلك المعاملة الحـسنة التي عامل بها اليهود أهالي حصون خيبر، أرسلوا إليه يطلبـون الـصلح، فصالحهم وصاروا يعطونه نصف غلة أراضيهم [٦٨]

وأصبحت فدك خالصة له لأن المسلمين لم يقفوا عليهـا بخيـل ولا ركاب، أما مغانم خيبر فقسمت على أهل الحديبية. قـال الله تعـالى [٦٩] : (وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَـٰذِهِۦ) [٧٠]

كان الاستيلاء على مدينة خيبر من أعظم انتـصارات المـسلمين، وحينما تقدم الرسول إلى خيبر وشاهد أسوارها العالية الحـصينة والـتلال الصخرية التي تحميها، توجه بصلاته إلى الله بالشكر [٧١]

---

[٦٧] ابن سعد: كتاب الطبقات الكبرى جـ ٣ ص ١٥٢.

[٦٨] المقريزى : إمتاع الأسماع حـ ١ ص ٣١٢ – ٣٢٨.

[٦٩] سورة الفتح آية ٢٠.

[٧٠] يقصد عز وجل بهذه (خيبر) .

وكان لانتصار المسلمين في خيبر أهمية خاصة، فقد ترتب عليه أن أصبحت لدولتهم الناشئة أراض مملوكة خارج المدينة يجبون منها الخـراج كما أدى إلى وجود جماعة من اليهود يضمها الـسلطان الـسياسى للدولـة الإسلامية. وهكذا وحد تلك الدولة لأول مرة (أهل ذمة) . ولقد سمح لهؤلاء الذميين بأن يظلوا على دينهم ويستغلوا أراضيهم وفق الشروط التي تؤخـذ عليهم[٧٢]

وفوق ذلك، فقد استطاع الرسول أن يقضي على فردية اليهود، وان يجعلهم رعايا في الدولة العربية الإسلامية الناهضة، يدينون بالطاعـة لهـا ولرئيسها العربي، ترفرف عليهم جميعًا راية تسامح الإسلام.

****

[٧١] ارفنج: حياة محمد (من ترجمتنا) ص ١٩٩.

[٧٢] جمال سرور: قيام الدولة العربية ص ١٢٠ .

openkan.com